ميلعلا وه

ةلالادو ةينيوكتلاو ةيعيرشتلا ةيهلإلا رماولأا نيبـ قُرْفلا

دوجسلا ةيآ

ركنملا نع يهنلاو فورعملاب رملأا بوجو ةحصلا ىلع نمؤملا لعفِلْمَحـ موزُلـ

ةنماثلا ةسلجلا - ةينيوكتلا ةيلاولا

اهاقلأ ةرضاحم
يّنارهطلا يّنيسحلا نسحم دّمحم دّيسلا ّجاحلا الله ةيآ
هّرسـ الله سّدقـ

.

@MadrastAlwahy

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين المكرَّمين وعلى أصحابه أجمعين
والتابعين إلى يوم الدين

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿إِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[1]:

إنّها أيّام عاشوراء؛ فاغرفوا أصواتكم بالصلاة على النبيّ عليه السلام، ولقضاء حوائجهم الشرعيّة، وللتعجيل في ظهور صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه!

من المسائل التي كانت النقاش فيها حول الأوامر التكوينيّة ـ أو التي تُطرح بأنّها كذلك ـ والتشريعيّة ـ تُوصلنا إلى أنّ الله تعالى قد وضع في وجود كلّ إنسان ـ بمقتضى الأوامر التشريعيّة ـ وأوصافٍ غرائز وشاكلة؛ وبتعبيرنا نحن: طبقة العلم (العجل والإشاعة) التكوينيّة ـ أيضاً.

للوجود أوّلاً، وللصفات ثانياً؛ وعلى هذا الأساس فإنّ كلّ من هذه الإنسان يتقوّم

وكان حديثنا حتّى الآن يدور حول هذا الموضوع. وهذا، قد تَرِدُ شُبهة ومسألة، حيث اضطررنا لطرح الموضوع التالي لأجل رَدِّ هذه الشبهة؛ ومن ثَمَّ سأتابع الأمر الذي نحن بصدده.

شُبهة منافاة الأمر بالمعروف في الإنسان في الأمور الفرديّة

والشبهة هي: إذا كان من المقرَّر أن يسلك كلّ فرد مسارًا مختلفًا في طريقه ونهجه، فمتى سيتحقّق إذًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فليتّخذ كلّ فرد طريقًا خاصًّا، ويمضي فيه، ويرتكب جميع أنواع المعاصي، وعندما يسأله أحدهم: «لماذا تفعل هذا العمل؟» فليُجب: «لديَّ طريقي الخاصّ بي! فماذا تعلم أنت؟! ومن أين لك الاطّلاع [على أحوالي]؟!». فتراه لا يصلّي، فتسأله: «لماذا لا تصلّي؟» فيجيب: «يا عزيزي، لديّ طريقي الخاصّ!»؛ وذلك نظير الدراويش الذين يقولون: «الصلاة كانت ركعتين، وقد صلّاها عليّ

---

[1] سورة ص، الآيتان ٧١ و ٧٢.

عليه السلام؛ وقد سقطت عن عاتق الجميع بعد ذلك!». أو تسأله: «لماذا لا تصوم؟» فيجيب: «إنّنا نأخذ حبوبًا بديلةً عن الصوم! فلماذا نصوم؟! الصوم هو لِمَن يشعرون بالفقر والجوع والضيق الماليّ؛ وأمّا الآن، فلا حاجة لذلك! لأنّ الصوم هو لصحّة البدن، وإذا تمكّنا من تأمين هذه الصحّة بطُرُق أخرى، فسيسقط الصوم أيضًا!»، وأمثال هذه الأمور. أو تسأله: «لماذا لا تحجّ؟» فيجيب: «لماذا نأخذ أموالنا وندفعها لأولئك العرب!؟ أو نذبح الخراف؟! هذا في ظلّ الوضع الحاليّ الذي يكتسب فيه كلّ ريال يذهب به الحاجّ أهميّةً كبيرةً بالنسبة لنا، بحيث تكون بمثابة مسألة حياة أو موت!»

ّجحلا هاجت ضعبلل ةلطابلا ةرظنلا

سانلا ّجحي ،نامزلا رخآ يف: لاقه آلو هيلع الله ىّلص مركلأا ّيبنلا نَّأ ةياور يف تأر[1] **«ةراجتلا لجلأ** مامتها وه ّمهَّلكَ نَّإ ذإ ؛نآلا هارت امك اذهو .علسلا بلجلو ةراجتلل نوبهذي أ

مكو ؟انه هعيبيو ةعلسلا كلت بلجي له ؟معن رضحي اذام :وه هكّرحتت ةظحل ذنم ّجحلا

هيلع الله ىّلص ّيبنلا ربقو زوزين أل بقو ،ةنيدملا ىلإ بهذي امدنع ؟كلذ نم ي نجيو ديفتسيس

عفرو) مارتحلاا بابن مطقف روزي ّذأ وأ (قوسلا ىلإ بهاذلا) وه هب موقي ام لوّأ ،آلو

ماجّتابة رّايسلا كّرحتت ّىتح ،قاوسلأا يف ّلإ هارت لا ،ّمثمو ؛ًةصقانً ةرايز روزيف (بتعلا

!هّكم

وعندما يذهب إلى مكّة أيضًا، يُريد أن يذهب بسرعة في الليلة الأولى ليُؤدّي الأعمال، ويخرج من هذا الإحرام "اللعين" الذي أرهقه! فلا يستطيع أن يصبر ساعتين ليبقى في ثوبي الإحرام! هذا الذي أقوله قد سمعته بنفسي! في تلك السفرة التي ذهبنا فيها إلى مكّة، سمعت من أحد هؤلاء الحجّاج يقول: «ألا يأتي هذا الشيخ ليأخذنا لنخرج من هذا الإحرام اللعين؟!».. إنّها مسألة صعبة جدًّا بالنسبة له!

رحم الله المرحوم الشيخ صدرا الأراكيّ، سمعت أنّه قد تُوفّي. كان رجلاً مسنًّا، وكانت لديه أحوال خاصّة. في ذلك العام الذي تشرّفنا فيه بالذهاب إلى الحجّ، كان هو شيخ الحملة، وكان رجلاً مُسنًّا، وكان الانتقال من المدينة إلى مكّة صعبًا إلى حدّ ما، وخاصّةً بتلك السيّارات التي تكون جميعها مكشوفة وتتعرّض للشمس، حيث إنّ المسافة بين مكّة والمدينة حوالي ثمانين أو تسعين فرسخًا. في ذلك الوقت، كان يذهب الناس إلى الحج! تحرّكنا نحن تقريبًا قرب الظهر، ووصلنا إلى مكّة ليلاً حوالي الساعة العاشرة والنصف، والجميع مرهقون ومُتعبون، فقلنا: لننم ليلاً، ونستريح، وغدًا نذهب فنُؤدّي أعمال العمرة (الطواف والسعي والتقصير و ...). ولكنّ ذلك الجمع أصرّوا، وأجبروا ذلك الشيخ المسنّ على

---

[1]: ٤٦٢ص ،٥ج ،مكحلأا بيذهت

«عن عبدِ اللهِ بنِ حَمّادٍ الأنصاريّ، عن محمّدِ بنِ جعفرٍ عن أبيه عليه السلام، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم: يأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ فيه حجُّ الملوكِ نُزهَةً وحجُّ الأغنياء تجارةً وحجُّ المساكينِ مسألةً».

: ٣٠٦ـ ٣٠٣ص ،٢ج ،يّمقلا ريسفت

عن عبدِ اللهِ بن عبّاسٍ قال: حَجَجنا مع رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم حجّةَ الوداع... فقال: إنّ من أشراطِ القيامة... يا سلمانُ! وعندَها تَحُجُّ أغنياءُ أُمّتي للنُّزهةِ وتَحُجُّ أوساطُها للتجارةِ وتَحُجُّ فقراؤُهم للرياءِ والسمعة».

الإحلال من ثياب الإحرام تلك الليلة ليرتاحوا منها! حقًّا، لقد حزنت على حال ذلك المسكين الذي ذهب وهو في أيّ حال من الضعف! ومهما قال لهم: «والله لم تبقَ لديّ قوّة، والله لم يبق لديّ رمق»، لم يُؤثّر فيهم. ففي نهاية المطاف، ابقوا ليلة واحدة واستريحوا! ما هي مشكلتكم في النهاية؟! إنّهما مجرّد ثوبي إحرام على أجسادكم!

ّجحلاو ةرمعلا لامعأ نيبو مارحلإا ءادترا رارمتسا بابحتسا

[1]ّجحلاو ةرمعلا نيبو مارحلإا نم جرخيّ لأ نانسلإل هيفّبحتسُي يذلا تقولا ،فو هذ

فـرّشتين اكامدنعّجحلاو ةرمعلا نيبو مارحلإا نم اًدبأ ّلحين ُكيمل[يّنارهطلا] ةمّلاعلا دلاولا ف

[2]؛نآلا ىتح تارّمـ سمخ وأ عبرأ [ّجحلل] رفاسـ دقل .ةّكمـ ىلإ بـاهذلاب وقد رأيته بنفسي في

إحدى سفراته، فكانت طريقته هي هذه؛ أي: على الإنسان أن يُحلّ من ذلك الإحرام الذي هو عقدٌ نفسيّ، ولكن يُستحبّ أن يبقى مرتديًا ثياب الإحرام. غير أنّ هذه القضيّة غير مألوفة جدًّا لدرجة أنّ الكثير من المشايخ كانوا يتعجّبون، ويقولون: «لماذا لا تخلع لباس الاحرام؟! ألم تُؤدِّ الأعمال؟!». خلاصة القول، لقد أجبروا ذلك المسكين (الشيخ صدرا الأراكيّ) على أن يأتي، ويُرافقهم ليؤدّوا الطواف، ويسعَوا، وبعد ذلك يُقصّروا، حيث تأذّى من ذلك كثيرًا. فجاء، واشتكى، وتذمّر عند الوالد العلاّمة، وقال: «يا سيّدي، ما هي الخطيئة التي ارتكبتها لأُصبح عالم دين ابتغاءً لمرضاة الله تعالى!».

يف نوبهذي نيذلا خياشملا عيمج نمو ؛اللهىلإ ةبرقلا وهو نيكسملا اذه دصق نكاو يأضيأ .فنوروجأم اللهءاشن إ نوقباو ؛ةبرقلا دصقي نكاخيشلا اذه نّأ ملعأ ،تلاحلا

.مارحلإا نم مهّلحأو ،مهقفارو ،ةّيفيكلا هذهبّسُملا خيشلا اذهب هذ ،تقولا كلذ

دنعي ضرمو لوبقم ًاّقحو هلهف ،ةّيفيكلا هذهبّجحلا يّدؤُي نأ ناسنإلا دارأ اذإ ،ًانسح

،نارياإ نم ةّكمـ ىلإ بـاهذلاب نودير ينيذلا جّاجحلا نّأ نآلا اونلعأ مهّنأ ضَرُف اذإ ؟ىلاعتلا اللهب؟! هذيسأ ًادحاو مكف ،ًادحاو ًلايدنم ىّتح كانهذ نم هعم بلجي نأ مهنم دحاو ّيأ عيطتسي لا

!نآلا اذه نعثيدحلا كرتنل

---

[1]: ٤٤١ ص ،٤ ج ،يفاكلا

«عَن أبي عبدِ اللهِ عليه السلام قالَ: يَنبَغي لِلمُتَمَتِّعِ بِالعُمرَةِ إلَى الحَجِّ إذا أحَلَّ ألاّ يَلبَسَ قَميصًا ولْيَتَشَبَّه بِالمُحرِمين».

[2] .فـيرشلا مّرسلا اللهسّدقّيناّرهطلا نيسحلا نيسحلا دّمحم دّيسلا ةمّلاعلا موحرملا قايحنامز يف قرضاحملا هذه تيقلأ

مجرتملا

تايارولاو نآرقلا أدانتسا ركنملا نع ىهنلاو فورعملاب رمألا بوجو

مهوقت اذامل ؛مارحلا هذه أعامجلا تلا تركتبكهاحرت ،لاقو دحأ اذإ ،لاحلا كلذ ىلع ؟ئنئذ حانجلا وه امف «:لاقي ذلكل ةيضتقم ،يتلكيفيلا يتلا ةصاخلا هذه ؟اهبهذ» :رخآلا لوقيف

:ىلاعت الله لوقب

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1] أي: يجب أن تكون في أُمّة المسلمين جماعةٌ تدعو إلى الخير، وتبيّن طريق الخير والصلاح للناس، وتأمر بالمعروف [وتنهى عن المنكر].

فالآية تُصدر أمرًا وجوبيًّا: «يجب أن يكونوا». واللام (في الأمر) تدلّ على الوجوب.

ىهنلاو فورعملاب رمألا ةميقلا ىلع سيّدلا ءادهشلا هيلع مالسلا ةئامك تناك ةركذتم عن المنكر،[2] حيث جاء في ديدان روايات كثيرة حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولدينا بعضها: **«إنّ أمّة النبيّ تبقى في خير ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتتعاون على البرّ والتقوى، فإذا تركت هاتان الفريضتان، وقع في الأمر والنهي»**[3]. ولدينا الكثير من الروايات في هذا الصدد؛ ومن ذلك الحديث عن الأمر بالمعروف بمراحله: **المرحلة الأولى هي مرحلة الإشارة، والمرحلة الثانية هي مرحلة الإنذار، والمرحلة الثالثة هي مرحلة التصريح؛ بعد ذلك، اعتزال الإنسان (صاحب المنكر) بعدها، يتّخذ الإنسان الإجراء المناسب وجوبيّة هذه الأحكام هي الأكثر تشدّدًا[4]**

---

1. ١٠٤ ةيآلا ،نارمع لآ ةروس

2. ٢٧٣: ص ١، ج ،يزمزاوخلا ،مالسلا هيلع نيسحلا ةفقل

3. «... إنّما خرجتُ لِطَلَبِ الإصلاحِ في أمَّةِ جَدّي محمّدٍ صلّى الله عليه وآله، أُريدُ أن آمُرَ بالمعروفِ وأنهىٰ عن المنكر ...».
١٨١ ص ،٦ ج ،مالكلا بيذهت

«عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، أنّه قال: لا يزالُ الناسُ بخَيرٍ ما أمَروا بالمَعروفِ ونَهَوا عن المُنكر وتَعاوَنوا على البِرّ والتقوى؛ فإذا لم يفعَلوا ذلك، نُزِعَت منهم البركاتُ، وسُلِّطَ بعضُهُم على بعضٍ، ولم يكن لهم ناصِرٌ في الأرضِ ولا في السماءِ».

4. ٢٨١ و ٢٨٠ ص ،٤ ج ،يزاربلا ةيسرا ةعجار :سوسلا ةعيشلا ءاملع ةرادا ؛١٣٥ ـ ١٣١ ص ،١٦ ج ،

على المسلم أن يطبّقها، ويُنفّذها في حقّ إخوانه المؤمنين خلال حياته.[1] فماذا يحدث إذاً لهذه المسائل؟!

عدم اطّلاع الإنسان على الجوانب الباطنيّة لأعمال الأفراد

الحكم الذي كنّا بصدد بيانه حتّى هنا، وما أردنا الحديث عنه، هو السيرة العمليّة لكلّ فرد في مسيرته نحو الكمال والاستكمال. أمّا ما يجري في باطن هذا الفرد، وكيف هو طريقه إلى الله، فنحن لا نملك علماً به، ولا نستطيع الوصول إلى هذا الجانب على سبيل المثال، قد يرتكب إنسان فاسق المحرّمات، لكن كيف هو باطنه؟ ما هي حالته وهو يرتكب هذا العمل الحرام؟ هل يرتكبه بناءً على السهو والمُسامحة والمُجاملة، أم بناءً على العناد؟ هل يرتكبه وهو عالم، أم يرتكبه وهو جاهل؟ هل اضطرّ إليه، أم هو مختار فيه؟ هذه هي الجوانب النفسيّة لعمله؛ ونحن لا نستطيع الاطّلاع عليها، إنّما ننظر إلى أنّه يرتكب عملاً حراماً، ولا ننظر إلى سبب ذلك! هل هي عادة، أم ليست عادة؟ هل بادر به ابتداءً، أم داوم على هذا العمل لمدّة طويلة؟ هل يرتكبه بناءً على الضرورة، أم لا؟

لُزوم حَمْلِ فعل المؤمن على الصحّة والامتناع عن الحكم المتسرِّع

بشكل عام، ما لم يطّلع الإنسان على خصوصيّات فعل شخص ما، لا يمكنه أن يحكم عليه. وعلى هذا الأساس، لدينا في الروايات: **«يجب على المؤمن أن يَحمِلَ فعل أخيه المؤمن على الصحّة»**[2]؛ فعندما يرى منه ـ بحسب الظاهر ـ عملاً باطلاً، يجب أن يَحمِلَه على الصحّة؛ وإلّا فالفعل الجيّد لا يُحمَل على الصحّة! إذا رأى أنّ الفعل قد تكرّر، وحصل عدّة مرّات، فعندئذٍ تختلف المسألة؛ وسوف نوضّح ذلك. لدينا في إحدى الروايات: **«إذا حمل الإنسان فعل أخيه المؤمن على الصحّة سبعين مرّة، ولم يَحمِله على الصحّة في المرّة الحادية والسبعين، فهو في إيمانه نقص»**[3] لأنّ الدوافع لارتكاب الفعل، والمقاصد والأهداف من الفعل، لا

---

[1] ج [illegible] راسي، لمزيد من الاطّلاع على مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطها ومراتبها، راجع: مطلع أنوار البصيرة، ج ٤، ص ٢٧٦ ـ ٢٨٤.

[2] الكافي، ج ٢، ص ٣٦٢.

«عن أبي عبدِ اللهِ عليه السلام قالَ: قالَ أمير المؤمنين عليه السلام في كلامٍ لَه: "ضَع أمرَ أخيك على أحسَنِه حَتّى يأتيك ما يغلِبُك مِنه، ولا تَظُنَّنَّ بِكلمةٍ خَرَجَت مِن أخيك سوءًا وأنتَ تَجِدُ لها في الخيرِ مَحمِلاً"».

الخصال، ج ٢، ص ٦٢٢:

[قال أمير المؤمنين عليه السلام:] **«اطلُب لِأخيك عُذرًا؛ فَإن لَم تَجِد لَهُ عُذرًا، فالتَمِس لَهُ عُذرًا».**

[3] مصباح الشريعة، ص ١٧٣.

نهاية لها. نحن نرى فعلاً واحدًا فقط، ولكنّنا لا نعلم لأيّ سبب ارتُكب هذا الفعل؛ لهذا، تجدنا نأخذ الجانب الباطل منه، ونَحمِلُه على هذا المعنى الباطل. سمعت أحد الخطباء في طهران يقول: إنّه كان يخطب في مجلس، حيث كانت عادته أيضًا أنّه عندما يتحدّث، يتّجه فقط إلى جهة واحدة ولا ينظر إلى غيرها، فكان لا ينظر إلّا إلى جانب واحد؛ وفي أحد الأيام، كان أحدهم جالسًا بجانب منبر هذا الشيخ، ويستفيد من كلماته، فرأى أنَّ الجهة التي يُلقي نظره إليها هي نافذة الجار، وهناك امرأة تنظر من تلك النافذة إلى الخارج؛ ومن المؤكّد والواضح أنَّه ينظر إلى ذلك المكان! والمكان مناسب للنظر، ولا ينتبه إليه أحد آخر، والخطيب منشغل بالحديث و ...! وعندما أنهى حديثه، قال له: «يا سيّدي! منبر النبيّ... هذه الأمور... هذه المسائل؟! يجب على الإنسان أن يُراعي قليلاً؛ أن يُدقّق قليلاً!». فقال: «وماذا فعلت؟» فأجابه: «ماذا فعلت؟! لقد كنت تنظر إلى تلك المرأة لمدّة ساعة!». قال: «أيّة امرأة؟!». قال: «تلك المرأة التي كانت تنظر من النافذة لساعة كاملة، وكنت أراقبها!». قال: «عجبًا! إذًا أنت كنت تنظر إلى تلك المرأة لمدّة ساعة، لا أنا! أنت الذي كنت تنظر! حسنًا، تعال الآن، واجلس مكاني». فقام، وجلس في مكانه، وإذا به لم يرَ شيئًا! لأنَّ ذاك كان في زاوية تُظهر المرأة؛ أمّا زاوية هذا الشيخ الخطيب، فكانت مختلفة! لكنَّ ذلك الرجل كان يُحاسبه على ذلك بحُجّة أنَّه ينظر إلى هناك.

ةلأسمَّنإ .أَقحَ أتوهبم نانسلإا لعجي ام فئاطللاو قئاقدلا نم كاذه ،ددصلا اذه يفو

يتلا رماولأا ّمهأ دحأ أَقحي ه «ةحصلا ىلع نمؤملا خلأا لعفلمحَين أ ُمئاد نانسلإا ىلع

.ملاسلإا يف انيدل

ةحصلا ىلع لمحلاو فورعملاب رملأا موزُل يتلأسم نيبع مجلا هجو

من الناحية الأخرى، إذا رأينا حرامًا ظاهرًا وواضحًا، فماذا نفعل؟ هل نترك ذلك الشخص ليرتكب ما يشاء من الذنوب؟ فأين ذهب هذا الحكم الشرعيّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ هل نتركه لمجرّد أنّه ـ ربّما ـ كان هناك غرضٌ صالحٌ في هذا العمل، وهو يرتكبه بسببه؛ ولذا، فإنّنا نُهمل هذه المسائل؟! هل يقوم الناس بما يشاؤون في المجتمع، ونحن بحجّة أنَّه قد يكون لديهم غرضٌ جيّدٌ لفعلهم ذاك، ونحن لا نملك علمًا بذلك الغرض، فنترك هذه المسألة؟! لا، بل إنّ حكمنا الشرعيّ والتكليفيّ هو أنَّنا عندما نرى أنَّ هذا العمل يتكرّر منه، نُذكّره: «نحن نرى منك قضيّة كهذه، والحكم الشرعيّ هو كذا؛ هل أنت جاهل بهذه القضيّة أم عالم بها؟ إذا كنت عالمًا، فلأيّ سبب ترتكب هذا العمل؟». يجب على الإنسان أن يُذكّر، وبعدما ينتبه إلى أنَّ هذا الشخص كان عالمًا، ولم يكن لديه أيّ غرض في ارتكاب هذا الفعل سوى العناد والجحود والعناد بأحكام الله ومتابعة الهوى، فالتكليف الشرعيّ هو أن يبدأ في تلك المراتب العليا؛ أي يبذل الجدّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

«...إذا رَأيتُم أحَدَ إخوانِكم في خَصلَةٍ تَستَنكرونَها مِنهُ فَتَأوَّلوها سَبعينَ تَأويلاً؛ فإن اطمَأنَّت قلوبُكم على أحَدِها، وإلّا فَلوموا أنفُسَكم حَيثُ لَم تَعذِروهُ في خَصلَةٍ يستُرُها عليه سبعين [سَبعونَ] تَأويلاً فأنتُم أولى بالإنكارِ على أنفُسِكم مِنه.»

:٥٢٥ ص ،١٩ ج ،قحلا قاقحإ

[:ملاسلا هيلعُ داصلا لاق] إذا بَلَغَك عن أخيك ما تَكرَهُ، فاطلُب لَهُ العُذرَ إلى سَبعينَ عُذرًا، فَإن لَم تَجِد لهُ عُذرًا، فَقُل لِنَفسِك: لَعَلَّ لَهُ عُذرًا لا نَعرِفُه».

هذه المسألة تتعلّق بالأحكام والتكاليف التي يُطبّقها الله تعالى في مجتمع المسلمين. وأمّا المقصود من تلك القضيّة التي ذكرتُها، فهو أنّنا لا نعلم كيف هو حساب هذا الشخص مع الله الآن؛ لا نعلم كيف سيتعامل الله معهُ، ولا نعلم في أيّة مكانة سيجلس يوم القيامة، ولسنا 'علّام الغيوب'! والله لم يُسلِّم الحسابات والأعمال إلينا.

في مجتمع المسلمين، وبين الإخوة المؤمنين، الواجب هو أنّ الإنسان إذا رأى أحداً يرتكب باطلاً ويترك واجباً، يُذكّره.. بهذا الحدّ. بعد ذلك، عندما يرى أنّ المراحل (الأولى) لا تُؤثّر، عندئذٍ يتّخذ حالة من عدم الرضا، هذا هو! وبقيّة المسائل تتعلّق بالحكومة الإسلاميّة. إلى هذا الحدّ! أمّا كيف يكون طريق هذا الشخص ومساره إلى الله، فهذا أمر آخر لا نملك اطّلاعاً عليه؛ «الطُرُقُ إلى اللهِ بعددِ أنفاسِ الخلائق».[1] وبناءً على ذلك، لدينا واجب على عاتقنا بين الناس: التذكير بالنسبة للأمور الباطلة التي يُلاحظها الإنسان، والدعوة إلى الأمور المستحسنة التي هي يقينيّة بالنسبة له.

يجب على الإنسان أوّلاً أن يكون عاملاً؛ وبناءً على ذلك، إذا سعى الإنسان ـ قبل أن يكون عاملاً ـ بأخيه المؤمن في جمع، وقال: «هذا الشخص ارتكب عملاً باطلاً هنا؛ هذا الشخص غشّنا» في حين أنّه لم يتبيّن بعدُ لهذه المسألة، ولم تتّضح له زوايا القضيّة تماماً، فنفس هذا العمل حرام.. هذا العمل نفسه حرام! بعدما يطّلع الإنسان على القضيّة تماماً، عليه أن يذهب إلى ذلك الشخص، ويتحدّث معه، ويُطلعه على المسألة. وحتّى بعد التذكير، لا ينبغي أن يذكر عيبه لغيره؛ فربّما يرتكب ذلك الشخص هذا العمل الباطل بسبب مشكلة ما؛ فعندها، يجب أن تُعرف تلك المشكلة، وبزوالها سيكفّ هذا الشخص عن هذا العمل الباطل. إذا نشر الإنسان هذا العمل بين الناس دون التنبّه لكلّ هذه الأمور، وشوّه سُمعة الشخص، فهذا بحدّ ذاته حرام وباطل.

بناءً على ذلك، فإنّ قضيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير والصلاح، والمنع من العمل الباطل والمنكر، هي حكمٌ شرعيّ مشترك بين جميع المسلمين؛ أجل، هذا بعد أن يطّلع الإنسان على زوايا أمر ذلك الشخص الفاعل للمنكر، ويتعرّف على خصوصيّاته؛ عندئذٍ يجب أن يسعى في مقام تأديبه وإصلاحه.

---

[1] معرفة الله، ج ١، ص ٢١٢، الهامش ٢:

«وعلى أيّة حال فإنّ هذا ليس بحديث، بل حكمة لبعض الحكماء».

المسألة الأخرى هي: إذا ارتكب الإنسان العمل الباطل، فكيف يكون طريقه إلى الله؟ وما هي خصوصيّات طريقه؟ [في هذه] كيف يتعامل الله معه؟ وكيف سيكون هذا الإنسان؟ [لأنّ الإنسان ليس مطّلعاً على هذه القضيّة، ونحن لا نظّلع أبداً] لا يمكننا أن نحكم في الحالات، على زوايا قلب الإنسان، وهذه مسألة أخرى مستقلّة.

الفَرْق بين تكليف النبيّ موسى وتكليف الخِضر

لذلك، فإنّ الأنبياء والرسل مُكلَّفون بالإفصاح عن الأحكام الإلهيّة للناس بصورة عامّة؛ وفي الوقت نفسه، يعلمون ـ في تطبيق هذه الأحكام والتكاليف الإلهيّة ـ لكلّ واحد من العباد طريق إلى الله تعالى. يرى النبيّ موسى عليه السلام أنّ الخِضر عليه السلام يرتكب أعمالاً هي حرام بحسب ظاهر التكليف وباعتبار الاشتراك في التكليف الذي هو لجميع الأمّة، حيث إنّ خرق السفينة وقتل ذلك الطفل حرام، وتشييد ذلك البناء مكروه وغير مُستحسَن عند الناس. وعندما يرى النبيّ موسى أنّ الخِضر يرتكب هذه القضيّة، يتوجّب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويمنع الخِضر من هذا العمل، ويقول: «لا ترتكب هذا العمل!». وواجب أيضًا أن يقول: «لدليّ طريق لا يتعلّق بك؛ أنت قم بعملك وأنا أقوم بعملي».

عندما يصل الأمر إلى نقطة يرى فيها الخِضر عليه السلام أنّ موسى عليه السلام لا يستطيع أن يتقبّل أمره، ولا يستطيع موسى نفسه ـ من ناحية أخرى ـ أن يُضحّي بأعماله، يفصل طريقه، ويقول: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[1]؛ أي: اذهب أنت برسالتك، والخِضر يؤدّيها، اذهب أنت في طريقك الذي أعطاك الله إيّاه، وأنا في طريقي الذي أعطاني الله إيّاه، وأنا أقوم بأعمالي التي أعلم أنّ فيها مصلحة الناس، وأنت تقوم بأعمالك التي أعلم أنّ فيها مفسدة الناس. وأمّا الخِضر، فليس رسولاً، ولم يُبعَث إلى الناس، وإنّما يُوحى إليه فقط، والوحي يختصّ به وحده، ولا يجب أن ينقله إلى غيره. ولأنّ

[1] سورة الكهف، الآية ٧٨.

الخضر له طريق منفصل (عن الناس جميعاً)؛ فإنَّ مساره سيكون منفصلاً عن مسار النبيّ موسى عليه السلام. ولأنَّنا تحت شريعة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، ومأمورون بهذه التكاليف، يجب علينا أن نعمل بالتكاليف التي أمر بها النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجود، والصلاة والصوم موجودان، والحجّ والجهاد موجودان. يجب أن نضع كلّ هذه الأوامر والتكاليف، وكلّ هذه النواهي في مكانها. أمّا كيفية قيام كلّ فرد بالعمل، وكيفية تكوّن علاقته مع الله، فهذا ليس على عاتقنا، ولا يتعلّق بنا. هذه المسألة هي تكملة للمسائل التي تكلّمنا عنها سابقاً.

الفَرْق بين الأوامر الإلهيّة التكوينيّة والتشريعيّة

لدينا في الآية الشريفة: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[1] أي: قلنا للملائكة إنّنا نريد أن نخلق بشراً من طين. ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾؛ وعندما أكملناه على الوجه الصحيح في الخَلْق. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾؛ وعندما وصل إلى مرحلة الكمال (الإنساني) من حيث التكامل الجسدي والروحي، ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[2] اسجدوا له.

لقد مضى الكلام بخصوص أنَّ السجود لغير الله تعالى غير جائز، وهو حرام، وأنّه لا فَرْق في هذه المسألة بين إنسان وملَك، وقد بيّنا أنَّ السجود هنا لم يكن لآدم؛ بل كان سجوداً لتلك الروح التي تعلّقت به عليه السلام من جانب الذات الإلهيّة، والمذكورة في آية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، والتي نشأت من هناك. ولهذا، فإنّ السجود هو للذات الإلهيّة وليس لآدم، حيث تكلّمنا في هذه المسألة سابقاً.

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: والكلام الآن عن: ما هو هذا الأمر الذي أمر الله تعالى به الملائكة؟ هل هو جزء من الأوامر التكوينيّة - التي تكلّمنا عنها - أم جزء من الأوامر التشريعيّة؟

كما قلنا، إذا تعلّق الإلهي التكويني بشيء، فإنّه يُحقّق هذا الشيء نفسه في الخارج؛ وهذا يكون أمراً تكوينيّاً: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3]. أمر الله تعالى هو أمر تكويني؛ وعندما يتعلّق بشيء، فإنّه يُحقّق هذا الشيء نفسه في الخارج.

---

1. سورة ص، الآية ٧١.
2. سورة ص، الآية ٧٢.
3. سورة يس، الآية ٨٢.

ّيهلإا رملأا قّلعتي .ضرلأا دجوتف ،﴿نكُ﴾ :لوقيف ،ضرلأا قْلَخبّيهلإا رملأا قّلعتي

:لوقيف ،نإسنلإا قْلَخبّيهلإا رملأا قّلعتي .نإدجويف ،﴿نكُ﴾ :لوقيف ،رمقلاو سمشلا قْلَخب

ةرابعي هةّينيوكتلا رماولأا .جراخلا يفقّقحتيف ـ جراخلا يفقّقحتو أدوجوم نكي:أ ـ ﴿نكُ﴾

.جراخلا يف هسفنءيشلا كلذ قّقحتن ع

هل الأمر الذي أمر الله به الملائكة بقوله تعالى: «اسجدوا لآدم» هو من هذا القِسم [التكوينيّ]؟ إذا كان من هذا القِسم، فمعنى الآية سيكون: «عندما أمرنا الملائكة أن يسجدوا لآدم، أجبرناهم على السجود»؛ هذا هو المعنى إذًا؛ لأنّ معنى التكوين هو أن نُحقِّق ذلك الشيء ونوجده في الخارج؛ فهذا يصبح أمرًا تكوينيًّا. بناءً على ذلك، عندما يأمر الله الملائكة بالسجود، فمعنى هذا أنّه يُحقِّق السجود في الملائكة؛ فتسجد الملائكة شاءت أم أبت، ويتحقّق الفعل نفسه في الخارج دون أن يكون لها اختيار من تلقاء نفسها، تمامًا كما أنّنا نحن أيضًا لم يكن لنا اختيار أو إرادة من تلقاء أنفسنا لكي نتحقّق ونوجد؛ بل تعلّق الأمر الإلهيّ بخَلْقنا، فوُجِدنا، وتعلّق الأمر الإلهيّ بخَلْق الأرض والكواكب، فوُجِدت؛ فهل كان لها اختيار في خَلْقها؟! هل اعترضت وتساءلت؟! هل قالت: «يا ربّ، اخلقنا هكذا ولا تخلقنا هكذا؛ اخلقنا على شكل كرة لا على شكل مكعّب؛ اخلقنا بهذه الخصوصيّة لا بتلك الخصوصيّة؟!». لم يكن الأمر كذلك.

يتلا تاريثأتلا نّإف ،كلذ ىلعءانب[1] ﴿نُوكَيف نُكُهَل لوُقيِ نَأ ئَيَشدارَأ اَذِإ ُهرمَأ اَمَنَّإ﴾

ةّيهلإا رماولأا نم يه ـ ةرشابم ريغ وأ ةرشابم تناك ءاوس ـ نيوكتلا ملاع يف قّقحتت «مدلآ اودجسا»: ةكئلاملا بَطاخُيامدنع ،يأ ؟ةكئلاملل ةبسنلابكلذكرملأا نإكلهف.ةّينيوكتلا

!؟أنيوكتو ةدحاو ةعفد مهيف دوجسلا اذهَدِجوُ له

إذا كان الأمر كذلك، سيبقى مجال للشيطان لأن يعترض، ويقول: «يا ربّ، أنت أجبرت الملائكة على السجود، وأوجدت السجود فيهم تكوينًا؛ حسنًا، كان بإمكانك أن تفعل معي الشيء نفسه. لماذا لم تفعل ذلك معي؟! هذا العمل الذي لم أقم به، كان مسألة تكوينيّة ولم أكن مختارًا في ذلك».

على سبيل المثال، إذا أراد الله تعالى من طائر أن يحمل خمسمائة كيلوغرام من الأثقال، فإنّه لن يستطيع. وحينئذ، إذا قال الله تعالى: «نحن وضعنا قوّة كهذه للحيوانات (كالجمل والفيل) لحمل خمسمائة كيلوغرام من الأثقال»، فما علاقة الطائر بذلك؟! سيقول هذا الطائر: «أعطني هذه القوّة أيضًا، وسأحمل خمسمائة كيلوغرام من الأثقال». أو إذا كلَّفنا الله بالطيران في السماء، فنحن لا نملك وسيلة لذلك.

ةهجلا نوكت لا امدنعف ؛ةّينيوكتلا رومألا ىلعبّترتت ةّيعيرشتر ماوأ يهرماولأا هذه لله نكمُي لاو ،أتبعو اوغلأ ضيأ نوكتس اهيلعبّترتملا رماولأا نّإف ،انيف ةلوعجم ةّينيوكتلا ءانب .اهتاودأو اهلئاسوو اهبابسأ انيف ضيمل ،انتردق تحت عقت لا ةلأسمب انرمأي نأ ىلاعت

[1] .٨٢ ةيلآا ،سي ةروس

على ذلك، الأمر الذي أمر الله تعالى به الملائكة: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، يجب أن يكون تشريعيًّا؛ فعندما أتى خطاب السجود للملائكة، يسجدون، وهذا لم يكن تكوينيًا.

وحينئذٍ، فإنّ المسألة التي طُرِحَت هنا هي: هل كان في الأساس تشريع للملائكة أم لا؟! الإشكالات التي أوردوها هنا ناشئة من هذه القضيّة. هل كان تشريع للملائكة؟ أي: هل أتى الله بشرع وأحكام ليكون الأمر هنا تشريعيًّا؟! الأوامر التشريعيّة هي كأمر الله تعالى لنا أن نصلّي، ونصوم، ونؤدّي الحجّ، ونتصدّق، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.. كلّ هذه أوامر تشريعيّة. ولدينا أيضًا نواهٍ تشريعيّة: لا تغتابوا، لا تقترفوا البهتان، لا تسرقوا، لا تشربوا الخمر، لا تقامروا، لا تتغنّوا، واتركوا سائر المحرّمات؛ فكلّ هذه نواهٍ إلهيّة تشريعيّة.

عندما تأتي هذه الأوامر والنواهي، نشعر بحُسنها، وبوجود مصلحة إلهيّة فيها؛ فعندما ينتبه الإنسان ـ سواء بواسطة كلام النبيّ أو بغير واسطة كلامه؛ كأن يتلقّى ذلك بواسطة التشرّب من نفسه صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إلى أنّ الله قد كلّفه بالصلاة، يصير واجبًا عليه أن يُؤدّيها.

رأيت في «الفتوحات المكّيّة» أنّ محيي الدين بن عربي، ذلك العارف الإسلاميّ المعروف، كان يقول: «رأيت في مكاشفة أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله كان يقرأ القنوت في صلاته[1]ـ الظاهر أنّ أهل السنّة لا يقرؤون القنوت في الصلاة، أو على الأقلّ في المكان الذي كان فيه هو، لم يكونوا يقرؤون القنوت ـ وكذلك، رأيت النبيّ يذكر تكبيرات في الصلاة لا توجد لدى أهل السنّة.[2] فذهبت إلى أحد العلماء المعروفين في ذلك الزمان، وقلت له: "هل يوجد لدينا أنَّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله كان لديه قنوت وتكبيرات عندما كان يُصلّي؟"، فقال: "نعم، موجود لدينا في الكتاب الفلانيّ ولدينا عدّة روايات أيضًا". فنقلت له القضيّة، ولمّا تطابقت هذه المكاشفة التي رأيتها مع الروايات التي نقلوها هم أنفسهم عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله بخصوص القنوت والتكبيرات؛ لذلك، أوضح الله تعالى لي أنَّ هذه الصلاة التي يُصلّيها أهل السنّة الآن هي باطلة ومخالفة لقول النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، والصلاة الصحيحة هي ما وردت في شأنها روايات في الكتاب الفلانيّ والكتاب الفلانيّ».

إنّ الوصول إلى الأحكام الشرعيّة ليس مقتصرًا على الكتاب فقط؛ فبالنسبة للذين قدّر الله تعالى لهم، وأراد هدايتهم وإرشادهم، توجد طُرُق مختلفة ومتنوّعة للوصول إلى الأحكام

---

[1] راجع: الفتوحات المكّيّة، ج ١، ص ٤٣٥.

[2] راجع: المصدر نفسه، ص ٤٣٦ و ٤٣٧.

أدّى. الشرعيّة والأمور الواقعيّة، حيث توجد في هذا المجال مسائل وحكايات عديدة جدًّ
الخطابات الشرعيّة التي تأتينا في خطابات شرعيّة، أو مسمعها، أو مُلهَمها، أو ذاراها في
كتاب، يصبح من المسلّم لدينا أنّ في الدين خطابًا كهذا. وعندما نشعر بهذا الخطاب، تتبعه
نعم لديه؛ فهذا يكون أمرًا تشريعيًّا. فهل الأمر بالنسبة للملائكة كذلك أيضًا؟! أي: هل تفترض
أنّ الملائكة مستقرّة في مكانها وفي مكانتها، فيشعرون فجأة بأنّ الله تعالى يأمرهم بالسجود
والركوع والتسبيح والتحميد؟! هل الملائكة العذاب والرحمة يتحرّكون بواسطة الأوامر
الإلهيّة وحدها؟! هل الملائكة هكذا أيضًا ولديهم تشريع مثلنا؟ عندما
نسمع أنّ فلانًا من المؤمنين لديه مضائقة هناك، يأتي أمر بقضاء حاجة المؤمن، فتتحرّك
نسمع أنّه مريض ولا يملك دواء، يجب أن يُؤخَذ إلى الطبيب. أو أنّ عليه دَيْنًا، يجب أن
يُسدَّد دَيْنُه. أو أنّ مشكلة ما قد حدثت له، وعلى الإنسان أن يحلّ مشكلته. فعندما نسمع شيئًا
كهذا، تتعلّق بنا أوامر الله تعالى: يجب قضاء حاجة المؤمن، ورفع المضائقة عنه، وعلينا أن
نتحرّك. هذا بالنسبة لنا؛ فهل الأمر بالنسبة للملائكة كذلك أيضًا؟ أي: هل يكونون في مكانتهم،
يأتي أمر الله تعالى فجأة: «أمطروا في المنطقة الفلانيّة؛ يجب أن يأتي سيل في المنطقة
الفلانيّة؛ يجب أن تحدث زلازل في المنطقة الفلانيّة من الأرض؛ يجب أن تُهلِكوا وتُدَمِّروا قوم
فلان؛ يجب أن تنزلوا الرحمة على قوم فلان»؟! الأفعال والأعمال التي يقومون بها، هل هي
بناءً على أمر يُفاض عليهم من قِبَل الله تعالى؟ هل هي من هذا القِسم فقط، أم على نحو آخر؟

أنطابوا رهاظ الشبلا ءايبنلأا ةداهش

لدينا في آية من القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[1]. هذه الآية تستدعي الكثير من التأمّل
والتدقيق، وهو يتّضح كيفيّة ارتباط النبيّ بالذات الإلهيّة المقدّسة، بحيث من تقترن هذه الآية
بالآيات الأخرى الدالّة على الوحي، تُحلّ قضيّة الأوامر التشريعيّة بكلّ سهولة ويُسر، ولا
تبقى لدى الإنسان أيّة شُبهة.

تقول الآية الكريمة:

لقد جعلنا الأنبياء والرسل أئمّة قادة إلى الصلاح والكمال، (و)هم يهدون بأمرنا.

يمكننا أن نفسّر هذا الأمر على نحوين:

---

1. الآية ٧٣، سورة الأنبياء.

المعنى الأوّل هو الأمر التشريعيّ؛ أي: بواسطة الأوامر التشريعيّة التي وضعناها في نفس ذلك النبيّ، فإنّه يُوضِّح للناس طريق الكمال والسعادة، ويُبيِّن لهم الخير والصلاح؛ فهذا معنى!

وهناك معنى ثانٍ دقيق ولطيف ظريف، وهو أنَّ هدايتهم تكون بواسطة مقام أمرنا لا مقام التشريع؛ أي: عندما يهدون الأمّة، يكون ذلك بواسطة الاستعانة بالباطن والاعتماد على مقام الأمر والدعم والعنايات التي تتوالى من قِبَل الله تعالى على نفس هذا الوليّ والنبيّ والرسول؛ فبواسطة تلك العنايات، يسوقون الناس نحو ذلك الكمال. ونبيّنا على ذلك، فإنّ زمام أعمال وسلوك نفس كلّ فرد من الأمّة، هو بيد ذلك النبيّ والرسول نفسه الذي يقود هذا الزمام ويهديه إلى ذلك الكمال؛ هذا هو المعنى الثاني لـ ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾. والنكتة هنا هي: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾؛ أي: أوحينا إليهم فعل الخيرات والأمور الخيّرة![1]

معنى الوحي والأمر الإلهيّ للمخلوقات المختلفة

الوحي يعني نزول المصلحة ونزول معنًى من قِبَل الله تعالى؛ ولا فَرْق بعد ذلك في أيّ وعاء يقع هذا المعنى: سواء وقع في وعاء النبيّ أو في وعاء حيوان؛ وسواء وقع في وعاء النبيّ أو في وعاء أفراد من غير أُمّة النبيّ. فيحلّ معنًى من قِبَل الله تعالى على قلب الشخص ويُريه قضيّة ما؛ وعندما تُعرَض عليه تلك المسألة، يقوم بها. ونبيّنا على ذلك، معنى الوحي واحد سواء تعلّق بالنحل أو بالنبيّ، وكلاهما يُصبح تشريعًا، لكنّ نوعهما يختلف![2]

---

[1] أعلم أنّ المسألة صارت دقيقة ومعقّدة إلى حدّ ما، وأظنّ أنّ تحمّل القارئ بدأ يفنى قليلًا! أحسنًا، من عادتي أنّني أتطرّق دائمًا إلى بعض المسائل العلميّة ـ إلى جانب هذه المسائل الجانبيّة؛ لكن، رأيت أنّه إذا سعيت للحديث أكثر عن هذه المسائل، فلن أتمكّن من تتمّة الكلام عن الموضوع الأساس؛ ومن هنا، إذا تقدّم قليلًا، سيكون بوسعنا تجاوز هذه المرحلة بسرعة؛ هذا، مع أنّ المسألة التي أتحدّث عنها تنفعنا نحن طلبة العلم بشكل أكبر. أجل، لقد سعيت ـ بمقدار وسعي ـ إلى تبسيط المسألة، حيث إنّ هذا الموضوع الذي أعرضه على مسامعكم استفدته من العظماء. وقد قلت في أحد الأيّام: «يا عزيزي، إنّ كلامك حسن ذكرتُه لم أذكره من عندي؛ وكلامك باطل قلتُه يرجع إليّ» وهذا الموضوع أيضًا استفدته من العظماء، ولا يُنسب إليّ أنا.

[2] للمزيد من الاطّلاع، راجع: فقوحي (فارسي) ص ٢٤٦ ـ ٢٥٢.

معنى الوحي الإلهي في المخلوقات المختلفة

وهذا، تطرح مسألة عجيبة جدًّا! إنَّ تلك الآية التي قلت قبل أيام إنّها من الآيات التي تُزلزل بدن الإنسان، وتفصل مفاصله، وتُسقطه أرضًا، هي هذه الآية! القضيّة هنا هي [وصورة أمر تكويني] أيضًا كذلك،

﴿وَإِذَآ أَرَدنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرنَا مُترَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيهَا ٱلقَولُ فَدَمَّرنَٰهَا تَدمِيرٗا﴾[1]

أي: عندما نريد أن نُهلِك قومًا (ونحن نعلم طريق ذلك؛ ومن عساه يكون أعلَمُ منّا بخفايا الأمور؟!) نأمر - الأمر جاء هنا - المُترَفين منهم، أي الذين يسعون وراء الترف والرغبات والأمور الدنيويّة والمعاصي، والذين تتوفّر فيهم الأرضيّة والاستعداد للمعصية: اذهبوا وارتكبوا الذنوب والمعاصي وخالفوا نبيّ زمانكم!

إنّها آية عجيبة جدًّا؛ وعلى أيّ حال، هذه من الآيات التي تستتبع الخوض في كلّ واحدة منها تفاصيل مجموعة من المسائل.

﴿أَمَرنَا مُترَفِيهَا﴾: عندما تتعلّق إرادتنا ومشيئتنا بإهلاك أولئك القوم، نُهيِّئ أسباب ذلك.

﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾: هذا هو موضوعها؛ عندما يريد الله أن يُوصِل الخير إلى عَبْد، ﴿إِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِعَبدٖ خَيرٗا هَيَّأَ أَسبَابَهُ﴾[2] أيّ أسباب. عندما يريد أن يُريد كذلك؛ عندما يريد أن يُريد يُهيِّئ له الأسباب أيضًا، فيقوم ذلك العَبْد به. ومن الناحية الأخرى كذلك؛ عندما يريد أن يُصيب الشرّ شخصًا ما، يُهيِّئ له أسبابه أيضًا.[3]

﴿فَحَقَّ عَلَيهَا ٱلقَولُ﴾. في تلك المراحل الثلاثة الآنفة، هناك مسائل تتعلّق بالمراحل التالية. نعم، هناك مسائل تتعلّق بالمراحل التالية، نصل إلى كيفيّة تحرّك جنود الرحمن، وكيف أنّه إذا أراد العبد أن يقوم بعمل الخير، يجب على الأسباب والعِلَل في العالم أن تتضافر معًا كي يقوم هذا العبد بعمل الخير، أو عمل الشرّ، حيث تكون كلّ هذه الأسباب والعِلَل في حالة حركة وتفاعُل.

---

1. سورة الإسراء، الآية ١٦.

2. [المحقّق] هذا الكلام ليس نصّ رواية، بل هو مأخوذ من روايات تؤيّد هذا المعنى. راجع المحاسن، ج ١، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣.

3. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٤٥٢.

و ها ذه !ب نذلا يف ةبغر و اًعفاد ةّمألا كلت يف ئشُنُي أ ،«رمأ ن حن» ،﴿اهيفرَتم انرَمَأ﴾

مث ،ةبغرلا أشنت ؛[1]﴿اهيف اوُقَسَفَف﴾ ،ةأيهُم ةّيضر ألا نوكت ل معلا اذهب موقن امدنعو !ىنعملا

!ب ونذلا ب اكترا يف ن وعرشي

بناءً على ذلك، نرى أنَّ الأمر والوحي يتّخذان معنى واحدًا ويُصبح «تكوينًا». نحن نهيّئ فيهم الأرضيّة؛ فنضع فيهم الشعور والإدراك والرغبة في الذنب؛ فيسعون وراء هذا الذنب ،ذئنيح :يأ ؛[2]﴿اَريمدَت اهَنٰرمَّدَف﴾ ﴿لُوقلاُ اهيلَع قَّحَف﴾ .هنوبكتري ف ؛﴿اهيف اوُقَسَفَف﴾

اًئيش ل عفن ن أ اندرأ ولف .ءاضقلاو كلاهلإا ي نعي ريمدتلاو ؛مهريمدتل انل اًحاتم رمألا ريصي

ب نذ ّي لأ .دعب ًلاعف ب كترن مل ؛دعب ب نذن مل ،ّب ر اي» :اولاقو س انلا ءلاؤه انبعتلأ ،نلآا لبق

.ةنسلألا ّلك مّكُتو هاوفألا ّلك قَلغُت ،مهيديأب اوبنذأ دقو ،نلآا اّمأ «!؟اذكه انتلماع ءيش ّي لأو

﴿اَريمدَت اهَنٰرمَّدَف﴾ .ءانفلاو كلاهلا وهو ،مهيلع لوقلا قّقحتي :يأ ؛﴿لُوقلاُ اهيلَع قَّحَف﴾

.مهوبساحو اوبهذاو اوكّرحت ،الله مسب :ةكئلاملل رسُن

ب ناج ّي أ ىلإو ،لعفي اذام رظنيف ؛هسفن م اًّدج اًرذح نوكي نأ ناسنلإا ىلع ب جي ،اذل عجر اف ﴿ب ناجلا﴾ اذه ىلإ يليم ت لعج اذإ !ّب ر اي» :لوقيو الله نم ب لطي نأ هيلعو .هتبغر ل يمت

!اًّدج اًظِقي نوكي نأ ءرملا ىلع ب جي ،كلذلو !اًّدج ةّمهم ةّيضقلا هذه ّن لأ «ي ب

درَبَ ناكاپ هنعط ردنا شليم** درَدَ سَك هدرپ هك دهاوخ ادخ نوچ[3]

:لوقي

راهطلأا يف نعطلا ىلإ ليمي هلعجي ،دحأ رتِس كتهي نأ الله دارأ اذإ

إذا أراد الله أن يهتك سِتر أحد، ويُهرق ماء وجهه، ويُفسد أمره، [فإنّه يجعله] يبدأ بالطعن في الأطهار! والله تعالى تأخذه الغَيرة، ويقول: «أتطعن في الأطهار؟!». إنّ الذين سَخِروا من الأنبياء والأولياء، وطعنوا في الأطهار، وبدأوا بالتذمّر، والتشكّي والسخريّة، يجب أن نعلم إلى أين يصل أمرهم! المسكين نفسه لا يعلم؛ هيهات أن يعلم! وإلاّ، هل كان سيسعى حينئذ وراء هذه القضيّة؟!

،لئاسملا هذه ركذ درّجمف ،ّلاإو ،اًيلمع اًسرد مّلعتن نأ وه لئاسملا هذه نم دوصقملا اهقبطُن نأ ب جيل ب ؛ةريبك ةجيتن اهل تسيل ةّيلإ مكنمو مكيلإ يّنم اهلقنو ،اننا هذأ يف اهسيدكتو !انسفنأ ىلع

---

[1] ١٦. ةيلآا ،ءارسلإا ةروس

[2] ١٦. ةيلآا ،ءارسلإا ةروس

[3] ٢١٧. تيبلا ،١ ب اتكلا ،يونعملا يونثملا

كان هناك أحد الأحبّاء، وكنت أأنس به كثيرًا؛ كان لديه حال جيّد، وحال بكاء وتوجّه. رأيته يتغيّر تدريجيًّا في خصائصه، حيث كانت الأحاديث التي كان يذكرها سابقًا تختلف عن الأحاديث التي يذكرها الآن، ونبرة كلامه تجاه الأعاظِم قد تغيّرت. فقلت: يا لَلْأسَف! يبدو أنّ دور تدمير هذا السيّد قد حان! مرّ قليل من الوقت، فتحوّلت القضيّة تدريجيًّا من تلك النبرة في الكلام، إلى السخريّة والاستهزاء والمزاح! رأيت: ما شاء الله! الآن أصبح جاهزًا للمغادرة، وقد آن الأوان؛ فبدأ بالسخريّة والاستهزاء! ـ أنتم جميعًا تعرفونه ـ. رأيت هناك أنَّ هذا المسكين قد رُخِّص له (بالذهاب). لم يمضِ الكثير من الوقت حتّى حدث ذلك تمامًا؛ ذهب ولم يَعُد![1] ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾

دڕەبارەی کەسێک دڕۆشت ** مەڵێ ئەو ڕۆیشت بۆ لای یار

ئەو ڕۆشتووە بۆ ئەو شوێنەی کە ** هەموو ئاوات و ئاواتی تێدایە

ئەو ڕۆشتووە بۆ ئەو شوێنەی کە ** هەموو ئاوات و ئاواتی تێدایە

ئەو ڕۆشتووە بۆ ئەو شوێنەی کە ** هەموو ئاوات و ئاواتی تێدایە

ئەو ڕۆشتووە بۆ ئەو شوێنەی کە ** هەموو ئاوات و ئاواتی تێدایە

ئەو ڕۆشتووە بۆ ئەو شوێنەی کە ** هەموو ئاوات و ئاواتی تێدایە

يقول:

إذا أراد الله تعالى أن تهتك ستر شخص، جعله يميل إلى الطعن في الأطهار
وإذا أراد أن يستر عيب أحد، جعل رغبته في السكوت عن عيوب الآخرين
وإذا أراد أن يُعين أحدًا على أداء الواجبات، فقد جعل رغبته في البكاء والابتهال إليه
مهما أنّ الله تعالى أراد أن يُعينني، فقد جعل رغبتي في البكاء
لله الذي يحترق قلبه، فكم هو سعيد ذاك القلب الذي يحترق من خشيته، فكم هو سعيد ذاك
بدّ ولو بقدر أنملة من البكاء
فكلّ بكاء يوصل في نهاية المطاف إلى التبسّم، وانظر إلى نهايات الأمور هو عبد مبارك.

البكاء شيء جيّد جدًّا! فحال البكاء الذي ينشأ في الإنسان هو حال الرحمة والرأفة الإلهيّة التي حلّت بالنفس.

رثاء علي الأكبر عليه السلام

السلامُ عليكَ يا عليّ الأكبر عليه السلام. **السلامُ** عليكَ [من محرّم الحرام] في اليوم الثامن هو اليوم الذي ذاق فيه الشهادة قبل جميع أولاد وأهل بيت سيّد الشهداء عليه السلام. **وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** أي: السلام على ذلك السيّد الذي **مِنْ نَسْلٍ خَيْرِ سَلِيلٍ**

كما رأيتُ في الأخبار والتواريخ حول أصحاب وأهل بيت سيّد الشهداء عليه السلام، فإنّ مقام ومكانة علي الأكبر في أحداث عاشوراء تأتي بعد سيّد الشهداء عليه السلام، حيث

[1] ١٦٢. الآيتان ١٢ و ٧١ سورة آل عمران، الآية ٤٩ سورة الزمر، الآية ٤٧ سورة الكهف.

يمكننا أن نستفيد هذا الأمر من الكلمات التي وردت من الإمام عليه السلام حول علي الأكبر؛ فقد كان له عليه السلام مقام عظيم جدًّا!

لدينا في التاريخ أنَّه بعدما استُشهِد جميع الأصحاب ولم يبقَ أحد منهم، وبقي سيّد الشهداء عليه السلام وحده مع أهل بيته، جاء إليه عليّ الأكبر، وطلب منه الإذن بالقتال. في كلّ قضيّة عاشوراء، كلّ من جاء إلى الإمام ليطلب منه الإذن ـ سواء من الأصحاب أو من أهل البيت ـ، كان عليه السلام في البداية يرفض، ولا يأذن له؛ ولكن بالنسبة لحضرة عليّ الأكبر، لدينا أنَّه بمجرّد أن جاء إلى سيّد الشهداء لم يتأمّل حتّى! وقال له: «اذهب!». هذه القضيّة عجيبة جدًّا؛ إذ لم أرَ في أيّ موضع أنَّه عليه السلام قال: «انتظر»، بل جاء عليّ الأكبر إلى سيّد الشهداء عليه السلام، وقال له: «يا أبتِ! لقد ضاق صَدري. ائذن لي أن أكون أوّل من يذهب». ولدينا:[1] «سِيآ رَظَنِهيَلإ رَظَنَف» أي: نظر الإمام إليه نظرة يائسة. ثمّ قال له: «انطلق». فانطلق عليّ الأكبر. قرأ سيّد الشهداء عليه السلام هذه الآية:

﴿إِنَّ اَللَّهَ اِصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَٰهِيمَ وَآلَ عِمْرَٰنَ عَلَى اَلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

هي الآية التي كان الأئمّة عليهم السلام يقرؤونها عندما يستدلّون بالقرآن الكريم من أجل إثبات إمامتهم. أي: إنَّ مقام عليّ الأكبر هو مقام الإمامة! بمعنى: لو تعلّقت المصلحة والمشيئة الإلهيّة بأن لا يصل عليّ بن الحسين الإمام السجّاد عليهما السلام إلى الإمامة بعد سيّد الشهداء، لكانت الإمامة قد وصلت إلى عليّ الأكبر.

فمن جهة، يقول له الإمام "انطلق"! ومن جهة أخرى، يقول عليه السلام:

«اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ أَشْبَهُ النَّاسِ خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَنْطِقًا بِرَسُولِكَ، وَكُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَى وَجْهِهِ!»[3]

لقد سطّر عليّ الأكبر عليه السلام ملحمةً في يوم عاشوراء! الدنيا في التاريخ أنَّه قضى على مائة وعشرين من المقاتلين! هل تعرفون من يُسمّى «مقاتلًا»؟ هم الشجعان الذين يخرجون لمواجهة شخص بمفردهم. وليس أنَّ عليّ الأكبر ألقى السيف وقتلهم جميعًا؛ أي أنّهم جاءوا [بصورة جماعيّة] منذ البداية، بل إنّه عليه السلام قتل مائة وعشرين مقاتلًا؛ أي أنّهم جاءوا واحدًا تلو الآخر، وعليّ الأكبر كان يقتلهم.

---

1. ص ٧٣، ج ٣، الإقبال؛ ص ٤٨٧، المزار الكبير؛ ص ٢٩٣، مصباح الزائر.
2. سورة آل عمران، الآيتان ٣٣ و ٣٤.
3. راجع: الغارات، ج ١، ص ١٢٣؛ تفسير العيّاشي، ج ١، ص ١٦٨ ـ ١٨٠ و ٢٨٠؛ المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ص ١٠٩؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ٣٠؛ تأويل الآيات، ص ١١٣.

رعم يشجيب نحوت عوصو ترفتا نأ ىلإ :يأ «هنمِ ةقُتُلَ ةرثكَ نمِ سانلا جَّضَ تّىَحَ» واظنا، تعالوا عذئذِ! إلى جهنّم بسبب علي الأكبر نوصلا إلذين سانلا نم ةرثك دعسن به اذه شيجلا عندما يسقط عن فرسه، وذلك دعب أن فعل بهم ما فعل؟! ماذا سيفعل

«فَقَطَّعوهُ بِسُيوفِهِم إِربًا إِربًا.»

جاء سيّد الشهداء عند ولده، وشاهد حاله، فوضع وجهه على وجهه، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: «عَلَى الدنيا بَعدَكَ العَفاءُ، وَلَتَقُلَّكَ اللهُ قَوامَ القَتلَى، يا ابن سعد، قطع الله رَحِمَكَ كما قطعتَ رَحِمي»[1] ثمّ نادى: يا أخا كلمِ وا ولِمْلَهُ! هشامِ يا فُتُيانَ بَني هاشِمٍ! لا يحملنّ أحدكم على خيام الحرم؛ لكن كيف يحملها؟! فالجسد المقطّع غير قابل للتحريك، ولا يستطيع أن يحملها وحده. فنادى: «لا أُريدُ أن يحمِلَ عليَّ إلى خيامِ الحَرَمِ»[2]

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ محمّد صلّى الله عليه وآله أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[3].

اللهمّ! بِاسمِكَ اللهمَّ وعلى مِلَّةِ رسولِ الله، أُقَدِّمُ أمامي محمّداً وأهلَ بيتِه، وأتوجّهُ بكم نحوَ ربّي وربّكم، أن يكشفَ كربَنا وكربَكم، ويغفرَ ذنوبَنا وذنوبَكم، ويجعلَنا وإيّاكم من الآمنين يومَ الفزع الأكبر.

اللهمّ اغفر لنا وارحمنا ولا تتوفّانا قبل أن تغفر لنا، وارحم جميع جرائمنا. اللهمّ لا تحرمنا من زيارة أهل البيت في الدنيا ومن شفاعتهم في الآخرة، ولا تكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً. انصُر الإسلام والمسلمين، وأهلك الكفّار والمنافقين. اللهمّ اشفِ مرضى المسلمين، وارحم موتاهم واغفر لهم. عجّل في فرج إمامنا المهديّ عليه السلام، واجعلنا من المنتظرين والمؤمنين به عليه السلام.

بالنبيّ وآله، وعجِّل اللهمّ في فرج مولانا صاحب الزمان.

اللّهُمَّ صَلِّ على محمّد وآل محمّد.

---

[1] مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي، ج ٢، ص ٣٤ ـ ٣٦؛ اللهوف، ص ١١٣؛ تسلية المجالس، ج ٢، ص ٣١١ ـ ٣١٣، مع اختلاف يسير في المصادر.

[2] المزيد من الاطّلاع على شهادة علي الأكبر عليه السلام، راجع: معرفة الإمام، ج ١٥، ص ٢٧٧ ـ ٢٨٨.

[3] سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.